المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية

تخريج الأحاديث والآثار
الواردة في كتاب
الأموال لأبي عبيد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الكتاب والسنة أعدها

عبد الصمد بن بكر بن ابراهيم عابد

إشراف : أ.د. مصطفى أمين التازي رحمه الله
ثم إشراف: أ.د. محمد محمد أبو شهبة رحمه الله
ثم إشراف: أ.د. عبد الغني عوض الراجحي حفظه الله

القسم الأول

١٤٠٤هـ

شـــكر وتقـــدير

بعد حمد الله حق حمده والثناء عليه كما يحب و يرضى ، أرفع أكف الضراعة إلى الله عز وجل السميع المجيب أن يسبغ حلل رضوانه وسحائب رحمته على الأستاذين الجليلين ، الأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازى رحمه الله ، الذى كان اختيـــار الموضوع ومواكير الكتابة فيه على يديه . والاستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبـــة رحمه الله ، الذى أكملت على يديه البحث حتى أذن لي بتقديمه للمناقشـة .

فرحمهما الله رحمة واسعة ، وجزاهما عن الاسلام وطلاب العلم خيـــر الجـــزاء .

ثم أتقدم بعظيم الشكر والتقدير للاستاذ الدكتور عبد الغني عوض الراجحي حفظه الله ، الذى شرفني بقبوله لرئاسة لجنة المناقشة ، ولما أبداه لي مـــن نصائح وارشادات وتوجيهات قيمة .

والى كل من قدم لـي يـدًا بيضاء لإتمام هذا البحث واستكمال جوانبـه من المشايخ والزملاء والأهل والأحباب والأصدقاء .

إلـى كل أولئك أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديرى ، فجزاهم الله خيـر ما يجزى به عباده الصالحين .

خطبـــة الكتـــاب

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، من يهد الله فـــلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

واشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له ، القائل في كتابه العزيز (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) [1] ،واشهد ان محمدا عبـــده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله القائل (ألا اني اوتيت الكتاب ومثـــله معه) [2] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما .

اما بعـــد :

فقد كان من تمام فضل الله تعالى على عباده ان اكمل لهم دينهم الذى ارتضى ، فبعث اليهم النبي الامي صلى الله عليه وسلم هاديـــا ومبشرا ونذيرا ، وانزل عليه كتابا لاريب فيه ، هدى للناس لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ،فبلغه عليه الصلاة والسلام خير تبليغ ، وبينـــه للناس افضل بيان ، فكانت سنته بل سيرته وايامه خير تطبيق عملي يوضـــح مراد المولى جل وعلا من كتابه الحكيم ، وشريعته السمحاء ودينه الكامـل.

ولقد اعتنى المسلمون بهذه السنة المطهرة ، فتفرعت بهم المســالـك وتنوعت بهم المشارب ، اذ انبرى العلماء من السلف — رحمهم اللـــه — لدراستها بعد جمعها وتصنيفها بما يسهل الاستفادة منها ، ويزيـــل الشك والريب عنها . فكانت حصيلة ذلك تلك المؤلفات الضخمة من المسانيد والسنن والمصنفات والمعاجم وغيرها ، مما حفظ للامة سنة نبيها عليه افضـــل الصلاة والسلام .

كان من اولئك الائمة العلماء العظام امام حافظ هو المحدث الفقيه اللغوى الاديب الامام ابو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي ولاء ، الـــذى ادلى بدلوه معهم في خدمة السنة النبوية فاختار لنفسه طريقا لم يسلكـــه غيره من المحدثين فالف في غريب الحديث كتابا جمعه من افواه الـــرواة والعلماء وفسره وبينه احسن بيان .

الاان هذا الامام لم يكتف بذلك ، بل اخذ يتحف المكتبـــــة

---

(١) الحجر : اية (٩) .

(٢) اخرجه ابوداود في سننه (السنة — باب لزوم السنة ٥/ ١٠)عن المقدام .

الاسلامية بمصنفاته في شتى العلوم الاسلامية ، فكان فيها مبرزا مرتضى عند الكل .

ولقد رأى ببصيرته النافذه ، وعقله الفطن ان الولاة والامراء بل المسلمين في حاجة الى مصنف يوضح لهم ويبين السنة في موارد ومصارف بيت مال المسلمين ، او ما يطلق عليه اليوم (المالية العامة) فالف في ذلك كتابه (الاموال) الذى جمع فيه سنة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين والصحابة والتابعين ، الى جانب آراء فقهاء العصر وعلمائه ، بتنسيق حسن وعرض علمي سهل التناول .

لكنه صنف كتابه هذا على طريقة المحدثين ، او فقهاء المحدثين في عصره ، اذ كان عصره عصر الرواية ، فلا بد من ذكر الاسناد في الاقوال المنقولة ، وتبعا لما جرت عليه العادة في ذلك الوقت من عدم الحكم على الحديث مادام الاسناد مذكورا ، فانه لم يحكم على اسانيده بصحة او ضعف الا مالزم وذلك نادر .

وبكتابه هذا توفر لدينا في هذا الزمن مصدر من اوثق المصادر واقدمها في السياسة الاقتصادية لبيت المال في الدولة الاسلامية .

الا ان الباحث والفقيه الاقتصادى المسلم ليقف امام احاديث هذا الكتاب في حيرة من امره ، اذ الروايات امامه لاتعرف درجتها من الصحة او الضعف . كما لا يعرف من اخرجها من الائمة سوى أبي عبيد .

انه ليقف حائرا امامها ، فبايها يأخذ ؟ وعلى اى منها يقعد قواعده ويؤسس نظرياته الاقتصادية الاسلامية ؟ .

لقد كان ذلك من اهم البواعث والحوافز على اختيارى تخريج احاديث واثار هذا الكتاب موضوعا لرسالتي لنيل شهادة (الدكتوراة) في الكتاب والسنة ، وذلك بعد ان وجه نظرى اليه ، وحثني بالمثابرة عليه ، استاذى الفاضل الاستاذ الدكتور (مصطفى امين التازى) رحمه الله الذى كان مشرفا علي آنذاك، لما للكتاب من اهمية كبرى في دعم النهضة الاقتصادية اليوم . والعودة الى المنابع الاصلية للفقه المالى في الاسلام

ومحاربة النظريات الاقتصادية البعيدة عن الاسلام وروحانيته .

هذا ، وبما ان الكتاب يحتوى على الاحاديث المرفوعة والاثار المقطوعة فانني اسميت البحث :

(تخريج الاحاديث والاثار الواردة في كتاب الاموال لابي عبيد)

سالكا في كتابته المنهج التالي :

اولا : خطبة الكتاب ، وهي هذه .

ثانيا : التقدمة ، وتشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : في ترجمة ابي عبيد ، وفيه تكلمت على النقاط الاتية:

١ ـ نظرة تاريخية مجملة في عصره . ٢ ـ اسمه وشهرته . ٣ ـ مولده .
٤ ـ نشأته وحياته العامة . ٥ ـ رحلاته . ٦ ـ مشايخه
٧ ـ منزلته العلمية . ٨ ـ عقيدته . ٩ ـ منحاه الفقهي
١٠ ـ مصنفاته . ١١ ـ تلاميذه . ١٢ ـ اقواله وشمائله .
١٣ ـ وفاته رحمه الله .

المبحث الثاني : في التعريف بكتاب الاموال ، ويشتمل على التالى :

١ ـ نظرة تاريخية عامة في كتب الاموال .
٢ ـ موضوع كتاب الاموال لابي عبيد ، واستعراض لاهم محتوياته .
٣ ـ منهج ابي عبيد في كتاب الاموال .
٤ ـ موارد ابي عبيد في هذا الكتاب .
٥ ـ مميزات كتاب ابي عبيد عن غيره من كتب الاموال .
٦ ـ ذكر النسخة المعتمدة في التخريج .

المبحث الثالث : في التعريف ببعض المصطلحات الحديثية التي كثر استعمالها في ثنايا البحث، مع بيان الرموز والاشارات المستعملة في الكتابة .

وفي هذا المبحث تكلمت عن المراد من القول (تخريج الاحاديث والاثار)

ثالثا : تخريج الاحاديث والاثار الواردة في الكتاب :

وقد انتهجت فيه الطريقة التالية :

١ ـ ترقيم الاحاديث والاثار معا ترقيما تسلسليا من اول الكتاب الى آخره ، معرضا عن اقوال المصنف ، ليسهل الرجوع اليها عند الاحالة ،

ولتمتاز عن اقواله ـ رحمه الله ـ .

٢ ـ ترجمة لكل راوى يرد في سند الحديث عند اول ذكر له ، فاذا تكرر فاني اكتفي بذكر اسمه ودرجته مع الاحالة الى اول موضع ورد فيه .

وتتضمن الترجمة : اسم الراوى ، ونسبه ، وكنيته ، ولقبه ، والبلد التي يعرف بها ، ثم ولادته ووفاته ـ ان ذكرت المصادر التي بين يدى ذلك ـ ثم ماقيل فيه من تعديل او تجريح بعبارة موجزة ـ اعني انني اكتفي بعبارة الحافظ ابن حجر في كتابه (تقريب التهذيب) مع قليل من التوضيح اذا كان الراوى من رجال الكتب الستة .

اما اذا كان من غيرهم ذكرت اقوال العلماء فيه على وجه الاختصار بما يتضح به حاله من عدالة او جرح .

٣ ـ تخريج الحديث من امهات الكتب الحديثية ما امكنني ذلك ، فابدأ بذكر الاصول الستة على الترتيب هكذا : البخارى ، ثم مسلم ، ثم ابو داود ، والترمذى ، والنسائي ، وابن ماجه .

ثم بعد ذلك المصنفات الاخرى التي اخرجت الحديث مرتبا لها حسب وفيات مصنفيها مثل عبدالرزاق يكون قبل احمدبن حنبل ، واحمد يكون قبل الحاكم ، وهكذا .

٤ ـ الحكم على الحديث ، وذلك من خلال النظر في اسناده وتخريجه والنظر الى المتابعات والشواهد المذكورة في التخريج .

رابعا : الخاتمة .

خامسا : دليل المصادر والمراجع التى استعنت بها في كتابة البحث وقد رتبتها بحسب مؤلفيها .

سادسا : الفهارس العامة ، وتشتمل على التالي :

١ ـ فهرس للايات القرآنية .
٢ ـ فهرس للاحاديث المرفوعة .
٣ ـ فهرس للرواة .
٤ ـ فهرس للاعلام .
٥ ـ فهرس للاماكن والبقاع .
٦ ـ فهرس لمحتويات الكتاب .

هذا ، ولا ادع الكمال فيما عملت وقدمت ، ولكني استفرغت جهدى ما استطعت ، فان وفقت فالفضل لله في الاول والاخر له الحمد ، وان كانت الاخرى فاستغفر الله العظيم .

وارجو من القارئ الكريم ان يحسن الظن بكاتبه ، ويشمر الساعد لجبر عثرته ، والله ولي التوفيق .

وكتب
عبدالصمدبن بكربن ابراهيم عابد

التقـــــد مـــة

وفيـــها ثلا ثـــة مباحـــث:

المبحث الاول : في ترجمـة ابي عبيد .

المبحث الثاني : في التعريف بكتاب الاموال .

المبحث الثالث : في التعريف ببعض المصطلحات الحديثية التي كثر استعمالها في ثنايا البحث .

المبحث الاول :

في ترجمة أبي عبيد :

١ = نظرة تاريخية مجملة في عصره .
٢ = اسمه و شهرته .
٣ = مولده .
٤ = نشأته وحياته العامة .
٥ = رحلاته .
٦ = مشايخه .
٧ = منزلته العلمية .
٨ = عقيدته .
٩ = منحاه الفقهي .
١٠ = مصنفاته .
١١ = تلاميذه .
١٢ = اقواله وشمائله .
١٣ = وفاته .

أ = نظرة تاريخية مجملة في عصر ابي عبيد (١٥٤ — ٢٢٤ هـ)

أ — في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية :

ولد أبو عبيد وقد استتب الامر ، وأسلمت معظم الممالك الاسلامية قيادها للدولة العباسية .

ولقد عاصر أبو عبيد منذ ولادته حتى وفاته رحمه الله سبعة من الخلفاء العباسيين من لدن أبى جعفر المنصور و أسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس — رضى الله عنهما — (١٠١ — ١٥٨ هـ) الى زمن محمد بن هارون بن محمد بن أبى جعفر المنصور الملقب بالمعتصم (١٧٨ — ٢٢٧ هـ) .

وان الناظر فى تاريخ الحضارة الاسلامية بصفة عامة يتراءى له بادئ ذى بدء ان هذه الفترة التى عاصرها أبو عبيد تعتبر من أزهى عصور الحضارة الاسلامية أو كما يقال العصر الذهبى للخلافة العباسية ، وهى بحق تعتبر من أكثر الفترات التاريخية فى الحضارة الاسلامية من ناحية الثراء العلمى والتقدم الحضارى فى جميع شئون الحياة .

ولقد أكسبت الصفة الدينية التى أسبغها الخلفاء العباسيون على أنفسهم هذه الدولة نوعا من التعظيم والتبجيل لها .

فقد كان الخليفة العباسى يصرح بأنه سلطان الله فى أرضه و أنه أمينه على عباده يقوم فيهم بشرعه واقامة حدوده واحياء السنة فيهم . (١)

فساسوا العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك واحاطوا أنفسهم بالفقهاء والعلماء حولهم ، ولم يبرموا أمرا الا بمشورتهم و رأيهم .

فهذا المهدى كان اذا جلس للمظالم قال " أدخلوا على القضاء فلو لم يكن ردى للمظالم الا حيائى منهم لكفى " . (٢)

كما نرى هارون الرشيد فى سياسته الاقتصادية للبلاد يستعين بأبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمهما الله فى أن يدون له السياسة الشرعية فى الاقتصاد الاسلامى طبقا لتعاليم الشريعة السمحة وتطبيق الخلفاء الراشدين لها ، فكان

---

(١) أنظر خطبة أبى جعفر المنصور فى تاريخ الطبرى (٨/ ٨٩) احداث سنة ١٥٨هـ .
(٢) الازدى : تاريخ الموصل (ص ٢٥٥) .

نتاج ذلك كتاب الخراج لابى يوسف رحمه الله • ونراه اذا حج حج معه مائة من الفقهاء و أبنا ئهم • (١)

وبنظرة اجمالية فى الحالة الاجتماعية فى هذه الفترة ، نجد أن نجم الموالى بدأ بالبزوغ والاشراق مع ظهور هذه الدولة حتى صاروا من أهل الحل والعقد فى الحكم مع الخلفاء •

ولقد أدى اعتماد الخلفاء العباسيون على وزراء من الموالى ان صبغت مظاهر الحياة بمظهر حضارى جديد ودخول كثير من العادات غير العربية الى بلاط الخلافة •

هذا وان كان له نتائج سلبية فيما بعد نظرا لضعف شخصية الخليفة الا انه فى أول الامر كان خير معين للخليفة على ادارة شئون الدولة الاسلامية المترامية الاطراف •

ولا يخفى ان تفضيل الموالى على العرب أثار حفيظة العرب من جانب ، و أذكى نار الانتقام من جانب الموالى الذين كانوا لا أثر لهم فى زمن الامويين فلم يتقلدوا مناصب ادارية ولا عسكرية •

أما فى زمن العباسيين فالحال مختلف ، بل بلغ الحال ببعض الخلفاء العباسيين الى اقصاء العرب من ديوان الجند والعطاء • (٢)

كما أدى ظهور نزعات جنسية كالافتخار بمجد الفرس ودولتهم الزائلة ، واعادة ذكر ما كان لتلك الحضارة من المفاخر والمميزات والفضائل وحتى بلغ الحد ببعضهم الى انتقاص العرب والمجاهرة بذلك ، و انهم قوم غلاظ اجلاف لا حضارة لهم رعاة الشاء والبعير وسكان الصحراء ، وتولى كبر ذلك الناس أطلق عليهم الشعوبية •

الا أن الروح العربية — على الرغم من هذه الشعوبية — ظلت شامخة

---

(١) الطبرى : التاريخ (٨/ ٣٤٩ حوادث سنة ١٩٣ هـ) •
(٢) د• حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام (٢/ ٣٩٨) •

مسيطرة يسندها الخلفاء وزعماء العرب من الولاة والقواد ومستشارى الدولة ، كما يسندها الفقهاء والمحدثون وعلماء اللغة ورواة الشعر . (١)

ويمكننا تصنيف الناس فى العصر العباسى فى هذه الفترة الى : العرب وخاصة المضريين واليمنيين ، ثم الفرس وخاصة الخراسانيين الذين ساعدوا على قيام هذه الدولة والترك وخاصة فى أيام المعتصم الى جانب المغاربة ويضاف الى هؤلاء أهل الذمة من اليهود والنصارى . (٢)

ولقد كان للسياسة الاقتصادية التى انتهجها العباسيون كبير الاثر فى نمو موارد الدولة والافراد حتى أصبحت هذه الحقبة من الزمن تعد من أرغد الفترات و أثراها . فقد اعتنى الخلفاء بالزراعة والتجارة و أيضا الصناعة .

اذ وجهوا عنايتهم الى تشجيع الزراعة ، فنشطوا فى حفر الترع والجداول ومصارف المياه واقامة الجسور والقناطر .

كما اعتنوا بالفلاحة التى قامت على دراسة علمية بفضل انتشار المدارس الزراعية التى كان لها أثر كبير فى انارة عقول المسلمين فتوسعوا فى البحث النظرى ودرسوا أنواع النباتات وصلاحية التربة لزراعتها .. الى غير ذلك .

كما اتبعوا سياسة حكيمة ترمى الى عدم ارهاق المزارعين بالخراج بل وعنى بعضهم بوضع قواعد ثابتة لانواع الخراج بحسب نوع المحصول وجودة الارض ، وراعوا تخفيض الخراج اذا قل المحصول لسبب من الاسباب .

كذلك كان للصناعة نصيب كبير من عناية الخلفاء فى هذا العصر ، فقد اعتنوا بموارد الثروة المعدنية فاستخرجوا الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان ، وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد ساعد وجودها على نمو الصناعات المعدنية ، كما استخرجوا الخزف والمرمر من تبريز .

---

(١) أنظر بتفصيل أكثر عن الشعوبية : د . شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى (العصر العباسى الاول ص ٢٤) و د . احمد أمين : ضحى الاسلام (١/ ٤٩) و د . طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية (ص ٧١) .

(٢) أنظر : د . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام (٢/ ٣٩٧) .

ولم تقتصر عناية الخلفاء على الزراعة و الصناعة وحدهما بل اهتموا كذلك بتسهيل سبل التجارة فأقاموا الابار والمحاط فى طرق القوافل ، و أنشأوا المنائر فى الثغور وبنوا الاساطيل لحماية السواحل من اغارات لصوص البحار وقراصنته ، مما كان له الاثر البعيد فى نشاط التجارة الخارجية والداخلية ، و أصبحت قوافل المسلمين تجوب البلاد وسفنهم تمخر عباب البحار .

وصفوة القول بأن عناية الخلفاء العباسيين بالتجارة وحرصهم على تبادلها وتيسير طرقها البرية والبحرية كان له أثر كبير فى ترقية التجارة ، كما مهد السبيل امام الكاشفين والرحالة فكثرت رحلاتهم فى هذا العصر كثرة تدعوا الى الاعجاب فوصفوا البلاد المختلفة وصفا دقيقا مبنيا على المشاهدة . (١)

هذا ، ولكن تخللت هذه الفترة ثورات وخروج على السلطة المركزية فى بغداد ، وهى اما ثورات ذات طابع منحرف فى العقيدة كثورات المقنع الخراسانى أو ثورات سياسية كثورات العلويين الذين يرون أن العباسيين سلبوهم حقهم فى الخلافة أو كثورات الخوارج التى ترى ان لاحكم الا لله كما هو مشهور عنهم بعد الفتنة الكبرى .

ولكن بالرغم من هذه الثورات والخرجات كانت مسيرة الرقى والتقدم الحضاريين فى جميع مرافق الحياة وبالاخص الحياة الفكرية ، تسير فى طريقها المستقيم نحو الافضل فالافضل .

* = * = *

---

(١) أنظر : د . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام (٢/ من ص ٣٠١ الى ص ٣١٩) ملخصا .

ب = في الحياة العلمية التي عاصرها أبو عبيد

ان المتأمل فى الحياة الفكرية العلمية فى هذه الحقبة من الزمن يجدان هذه الفترة هى من أثرى فترات التاريخ العلمى للحضارة الاسلامية ، فقد بدأت كل العلوم الاسلامية تتخذ طابعا مميزا عن ذى قبل ، وبدأت التخصصات فى علوم معينة تظهر وتمتاز عن غيرها . الى جانب التدوين والتأليف وكذلك الترجمة .

كان من الاسباب التى ساعدت على ظهور ذلك هى ان المساجد لم تكن للعبادة فقط بل كانت معاهد علمية وساحات للمعرفة .

فقد كان لكل فرع من فروع المعرفة حلقة أو حلقاته الخاصة ، يجتمع فيه التلاميذ حول شيخهم ، فتجد حلقة المقرىء ، وحلقة المحدث ، وحلقة الفقيه ، وحلقة اللغوى والمفسر والنحوى والمتكلم . الى غير ذلك من اصناف العلوم .

وهذه الحلقات الكثيرة لم يكن يشترط للحضور فيها أى شرط سوى الرغبة فى السماع والاخذ عن الشيخ لا يرد عنها الرواد مهما كانت أعمارهم أو صنائعهم أو حرفهم .

كما أن اهتمام الخلفاء بالأدباء والمتأدبين والشعراء الى جانب اهتمامهم بالعلماء المتخصصين واغداق الجوائز والعطايا عليهم كان له الاثر الكبير فى نشر الحركة العلمية فى هذا العصر ، بل لم يقتصر الخلفاء على ذلك اذ جعلوا من مجالسهم ندوات علمية يحضرها العلماء و يتناظرون فيها اضافة الى مشاركة الخليفة نفسه فى المناقشات والمناظرات .

وجاراهم على ذلك الولاة وكبار القواد والوزراء ، فاكثروا من مكافات العلماء والادباء والشعراء فضرب الناس اليهم أكباد الابل وشدوا الرحال الى ابوابهم .

وكان من الاسباب المهمة أيضا فى بلوغ الحركة العلمية غايتها من النهضة الواسعة شيوع استخدام الورق ، الذى أخذ يعم منذ مفتتح هذا العصر ففشت الكتابة فيه لخفته وغلبت على الكتابة فى الجلود والقراطيس المصنوعة من ورق البردى بمصر .

مما أدى الى ظهور المصنفات الكبيرة وشيوع النسخ العديدة فاتسعت صناعة الوراقة التى بدورها ساعدت على انشاء المكتبات الكبيرة ، بل والمكتبات الخاصة بالافراد أيضا . (١)

---

(١) أنظر : د . شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى (العصر العباسى الاول من ص ٩٨ ـ ١٠٨) بتصرف وتلخيص .

أضف الى ذلك انتشار الرحلة فى طلب العلم بين أرجاء العالم الاسلامى المترامى الاطراف ، فمنذ الفتوحات الاسلامية ، واتساع رقعة أرض الاسلام ، بدأت الرحلة فى طلب العلم .

ولقد كانت فى بدايتها رحلات فى طلب الحديث الشريف ، وجمع السنة النبوية من مصادرها الرئيسية — أعنى الصحابة رضوان الله عليهم — الذين شافهوا النبى ﷺ وشاهدوا التنزيل ، والذين انتشروا فى البلاد بسبب الجهاد .

ولم تقف الرحلات عند جمع الحديث النبوى ، بل تعدته الى السير والمغازى ، وجمع أشعار العرب وآدابها وأيامها .

مما أدى الى جمع مادة علمية كبيرة ، أدى ذلك من جانب آخر الى ظهور تخصصات علمية ، والى نشر علوم متخصصة فى كل فن من فنون المعرفة .

وبنظرة شاملة ومجملة فى العلوم عند المسلمين ، وعلى وجه الخصوص فى القرنين الاولين للهجرة ، نرى أن جل هذه العلوم ، وخاصة التى نبغوا فيها وأسسوها من غير سابق لهم مرجعها الى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وأن هذه العلوم التى قاموا بجمعها واستنباطها ، ونهضوا بالبحث فيها ودراستها وضبطها وتنسيقها والتدقيق فى مراميها وآثارها ، كانت تابعة منهما وخادمة لهما .

فعلى سبيل المثال أدت العناية بالقرآن الكريم وحفظه الى نشأة علم القراءات الذى برز فيه علماء حرروه وضبطوه وتخصصوا فيه أمثال :

اسماعيل بن جعفر المدينى (ت ١٨٠) وهشيم بن بشير (ت ١٨٣) وعلى بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩) وشجاع بن أبى نصر البلخى (ت ١٩٠) وغيرهم ممن أدركهم أبو عبيد ، أو عاصرهم وأخذ عنهم .

فهذا التخصص من هؤلاء العلماء القراء وأمثالهم وفر المادة العلمية لوضع

علم القراءات وتدوينه والتأليف فيه ، الا أن هذه المادة كانت متفرقة غير مجتمعة فكان أول امام معتبر جمع القراءات فى كتاب هو أبو عبيد — رحمه الله — [١] .

الا أن هذا التخصص لم يكن بالمعنى المشهور اليوم ، بل كان أوسع من ذلك ، فالعالم المشهور بعلم من العلوم ، تجده أيضا ملما بعلوم أخرى لها صلة قوية بما اختص به ، فمن ذكرنا آنفا على سبيل المثال ، تجدهم الى جانب علم القراءات ، قد اشتهرت عنهم علوم أخرى كرواية الحديث ، والسيرة والنحو والتفسير .

وهذه من مميزات عصر أبى عبيد الذى نشأ فيه ، أن تجد العالم جامعا لاشتات العلوم متفننا فى جمعها وروايتها ..

وهذا لا يعنى أن لا يبرز علماء فى فن دون فن ويشتهر ذلك عنهم ، ويذيع صيتهم ويطير فى الافاق . كعبد الملك بن قريب الاصمعي (ت ٢١٧) مثلا فقد اشتهر بالنحو واللغة الى جانب معرفته بالاخبار والملح وروايته للحديث ، وغيره كثير ...

ومن مميزات عصر أبى عبيد ، أنه عصر النضوج الفقهى وظهور المذاهب الفقهية . فلقد كان لقيام الدولة العباسية أثر كبير فى اتساع دائرته والنهوض به نهضة عظيمة .

فرعاية الخلفاء — كما أسلفت — للفقهاء والعلماء والادباء كان له أثر كبير فى ازدهار الفقه وتطوره كما تميز هذا العصر بحرية الاجتهاد متى كان القاضى أو المفتى أهلا للاجتهاد .

أضف الى ذلك اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، فقد ضمت تحتها شعوبا وأمما مختلفة فى الدين والعادات والحضارة والنظم الاجتماعية وطرق المعيشة وانواع كثيرة من المعاملات ، أدى ذلك الى تصدى الفقهاء والعلماء لها وايجاد الحلول الاسلامية لها . بل والى النظر فى امور لم تحدث بعد بل يقدر أن تحدث .. [٢]

---

(١) أنظر : ابن الجزرى : النشر (١ / ٨٨) و د . عبد الهادى فضيلى : القراءات القرآنية تاريخ وتعريف (ص ٢٧) .

(٢) لمزيد من التفصيل أنظر : الفاسى : الفكر السامى (١ / ٣٣٠ — ٤٤٧) والسايس : تاريخ الفقه الاسلامى (ص ٨٠ — ٨٦) وعبد العظيم شرف الدين : تاريخ التشريع الاسلامى (ص ١٣٤ — ١٧٣) وبدران أبو العنين : الشريعة الاسلامية (ص ١٣٥ — ١٤٧) .

وصفوة القول : لقد كان عصر أبى عبيد من أزهى العصور الاسلامية حضاريا وعلميا ، أمتدت آثاره الى يومنا هذا وستظل معينا لا ينضب على مر الايام وتوالى الازمان .

هذا ولم نرم من هذه العجالة الا اعطاء ملامح للخلفية الحضارية والعلمية التى خرجت لنا أئمة عظاما أمثال أبى عبيد رحمه الله .

٢ - اسمه وشهرته :

هو القاسم بن سلام [١] ، الازدى ، الخزاعى مولاهم [٢] . يكنى أبا عبيد - مشهور بكنيته واسمه - الهروى [٣] ، الخراسانى ، ثم البغدادى .

كان أبوه عبدا روميا عند بعض أهل هراة من الازديين . [٤]

---

(١) بتشديد اللام ، هكذا ضبطه السبكى فى طبقات الشافعية (٢/١٥٣) وابن حجر فى التقريب (٢/١١٧) وانظر المغنى لمحمد طاهر النهندى (ص ١٣٠) .

(٢) الخزاعى : منسوب الى خزاعة ، وهو كعب بن عمرو بن ربيعة - وعمرو هو عمرو بن لحى - وخزاعة قبيلة من الازد (انظر : الحازمى : عجالة المبتدى (ص ٥٤) وابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة (ص ٩٦) .
هذا ، ولم تذكر المصادر التى ترجمت لابى عبيد أى الخزاعيين كان ولاؤه له .

(٣) الهروى : بفتح الهاء والراء ، هذه النسبة الى مدينة هراة ، وهى مدينة عظيمة مشهورة وهى احدى كراسى مملكة خراسان (افغانستان) فانها مملكة عظيمة وكراسيها أربعة نيسابور و مرو وبلخ وهراة والباقى مدن كبار ، لكنها ما تنتهى الى هذه الاربعة .
وهراة بناها الاسكندر ذو القرنين عند مسيرة الى المشرق ، وفتحها الاحنف بن قيس صلحا وقيل عنوة سنة ٢٢ هـ من قبل عبد الله بن عامر ، وكانت مدينة من أجل و أفخم مدن خراسان حتى دخلها التتار فى سنة ٦١٨ فخربوها .
(انظر : الطبرى : التاريخ (١/٥٧٨ + ٤/١٦٧) وابن خلكان الوفيات (١/٩٦ + ٣/٣٤٧ - ٣٤٨) وياقوت : البلدان (٥/٣٩٦) وصفى الدين : المراصد (٣/١٤٥٥) .

(٤) الخطيب : بغداد (١٢/٤٠٣) وياقوت : معجم الادباء (١٦/٢٥٤) .

٣ مولـــــده :

اتفق المؤرخون على أنه ولد فى مدينه هراة بخراسان ، واختلفوا فى سنـــة ولادتـــه .

فبعضهم قال سنة ١٥٤ هـ [١] . وبعضهم رأى أنه ولد سنة ١٥٧ هـ [٢]، وقيل سنة ١٥٠ هـ [٣]، وقيل ١٥١ هـ . [٤]

ومن خلال هذه النقول نرى أنهم اتفقوا على أنه ولد بعد عام ١٥٠ هـ واختلفوا فى تحديد السنة .

٤ نشأته وحياته العامة :

يكتنف الغموض نشأة أبى عبيد ، اذ لم نجد من تكلم عن اسرته ، وحياتـــه فى صغره بشىء من التفصيل ، فلا نعرف عنه الا أن أباه كان عبدا روميا عند بعـــض أهل هراة من العرب الخزاعيين .

بيد أن هناك نصا يلقى بعض الضوء على نشأة أبى عبيد فى صغره ، اذ يحكى ان أباه خرج فوجده مع ابن مولاه فى الكتاب فقال للمعلم بلهجه عربية ملحونة : علمى القاسم فانها كيسه . [٥]

فلقد رأى الاب فى ابنه علامات النجابة والذكاء ، فها هو من صغره يجـارى ابن مولاه ، فيذهب معه الى الكتاب ليتعلم ما يتعلمه الصبيان فى ذلك الزمان .

وتصمت الانباء عند هذا الحد .

---

(١) ابن خلكان : الوفيات (٤/٦٢) والسيوطي : المزهر ((١/٨٣)) .

(٢) الزركلى : الاعلام (٦/١٠) ولعله بنى اختياره هذا على أن أبا عبيد عـــاش ٦٧ سنة ومات سنة ٢٢٤ هـ .

(٣) نقله ابن خلكان فى الوفيات (٤/٦٢) عن ابن الجوزى ، ومفهوم كـــلام ابن الجوزى فى صفوة الصفوة (٤/١٠٧) أنه ولد سنة ١٥٦ حيث جعـــل وفاته سنة ٢٢٣ هـ وعمره ٦٧ سنة .

(٤) القفطى : انباه الرواه (٣/٢١) حيث جعل عمره ٧٣ سنة حين وفاته فـــى سنة ٢٢٤ هـ . وابو بكر الزبيدى : طبقات النحويين (ص ٢٠٠) .

(٥) الخطيب : بغداد (١٢/٤٠٣) .

ونحاول أن نتخطى حجب الماضى فنقول : ان أبا عبيد أخذ يتعلم ويتأدب على مؤدبى بلده " هراة " ، التى كانت تعد من أفخم وأعظم مدن خراسان ، وأخذ يواصل تعليمه كما يفعل لداته وأبناء وقته حتى اذا بلغ مبلغ الرجال ، وتمكن من التحول والترحال ، رحل فى طلب العلم من مناهله ، والبحث عن موارده ومصادره . ولم يكن له من يكفيه معيشته فامتهن صناعة التأديب طلبا للمعاش ، ورغبة فى البقاء بقرب حلقات العلم ومذاكرته .

فاتصل بكبار الأسر وأشرافها ، حيث كانوا ينتقون لابنائهم أفضل العلماء من المؤدبين والمعلمين [1] ، فكان ذا حظوة كبيرة عندهم ، لما يتمتع به من علم غزير ومعرفة بلغات العرب وأيامها وأشعارها ومعرفة بالاثار وفقهها .

فمن تلك الاسر آل هرثمه بن أعين [2] أحد قواد هارون الرشيد ، ثم اتصل بثابت بن نصر الخزاعى [3] يؤدب ولده ، فولاه قضاء طرسوس [4] ، فبقى معه ثمانية عشر عاما . ثم عاد الى بغداد وبقى بها حتى خرج فى طلب العلم مرة ثانية الى مصر والشام ما بين عام ٢١٣ هـ و ٢١٤ هـ . ثم عاد الى بغداد وبقى بها

---

(١) كان المعلمون فى زمن أبى عبيد على ضربين : معلموا أولاد العامة ومعلمون ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة والاشراف كالكسائى وقطرب وعبد الحميد الكاتب .. وغيرهم منهم أبو عبيد . أنظر (الجاحظ : البيان ١/ ٢٥٠ و شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى — العصر العباسى — ص ٩٩) .

(٢) هرثمة بن أعين هو صاحب حرس هارون الرشيد ، وأحد قواده الشجعان ، ولاه مصر وافريقيه فى سنة ١٧٨ هـ ثم ولاه خراسان فى سنة ١٩١ هـ ، ثم كان أحد قواد المأمون فى حصار بغداد وخلع الامين فى سنة ١٩٧هـ ، ثم عاد الى خراسان فى سنة ١٩٨ هـ ، الا أن حساده أوغروا صدر المأمون عليه فسجنه ، فقتلوه بالسم فى سجنه وقالوا للمأمون مات وذلك فى سنة ٢٠٠ هـ . أنظر : الطبرى : التاريخ (٨/ ٢٥٦ + ٣٢٨ + ٤٤٥ + ٥٢٧ + ٥٤١ + ٥٤٣) .

(٣) هو ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعى . كان يتولى امارة الثغور وليها سبع عشرة سنة وحسن أثره فيها ويذكر عنه فضل وصلاح ومات سنه ٢٠٨ هـ بالمصيصة . (انظر : الخطيب : بغداد ٧/ ١٤٢) .

(٤) طرسوس : بفتح أوله وثانيه ، وقيل بفتح أوله وسكون ثانيه . وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . (أنظر : البكرى : معجم ما استعجم ٣/ ٨٩٠ وياقوت : معجم البلدان ٤/ ٢٨ وصفى الدين : المراصد ٢/ ٨٨٣) .

حتى خرج الى مكة حاجا فى عام ٢١٩ هـ وبقى بها مجاورا يصنف ويدرس حتى توفاه الله — رحمه الله . (١)

٥ - رحلاته فى طلب العلم :

لم يكن التأديب والتعليم ليشغلا أبا عبيد عن طلب العلم وسماع الحديث ورواية اللغة والادب ، بل نجده بالرغم من ذلك كثير التنقل والترحال ، خصوصا بين بغداد والكوفة والبصرة .

وبعد سبر ترجمة أبى عبيد — من خلال المصادر والمراجع التى بين يدى — والنظر فى وفيات مشايخه وأوطانهم واحتمال دخولهم لبغداد أو الكوفة أو البصرة ، أو عدمه ، وجدت أن أبا عبيد كانت له رحلتان علميتان .

الاولى كانت من بلده (هراة) بخراسان الى العراق (بغداد والكوفة والبصرة) ويمكن أن نحددها تاريخيا بما قبل سنة ١٩٠ هـ — وهى السنة التى اتصل فيها بثابت بن نصر الذى ولاه القضاء بطرسوس — .

والثانية كانت الى مصر ثم الشام ، وكانت فى سنة ٢١٣ هـ .

---

(١) تروى المراجع قصة لقيا أبى عبيد بطاهر بن الحسين بمرو وأنه حمله معه الى (سر من رأى) وهذه القصة أنا فى شك منها مريب وذلك من وجوه :
أولا : ان أبا عبيد كان مع ثابت بن نصر قرابة ١٨ عاما وثابت توفى سنة ٢٠٨ هـ أى أن أبا عبيد كان معه من عام ١٩٠ هـ .
وطاهر بن الحسين أول ذكر له فى خراسان نجده فى عام ١٩٤ هـ كان مع هرثمة بن أعين فى حصار رافع بن الليث بن نصر بن سيار فى سمرقند (انظر : الطبرى : التاريخ ٨/ ٣٧٥) . فمتى التقى بأبى عبيد حيث ان ابا عبيد كان في الثغور الشامية في هذا الوقت .
ثانيا : ان طاهر بن الحسين ورد خراسان واليا عليها سنة ٢٠٦ هـ وتوفى فى سنة ٢٠٧ هـ (انظر ابن خلكان : الوفيات) أى فى الفترة التى كان أبو عبيد قاضيا فيها بطرسوس . الا أننى لا أستبعد لقيا أبو عبيد لطاهر بن الحسين واتصاله بولده عبدالله . لكن ليس بخراسان اذ أن طاهر ولى الموصل والشام المغرب فى حدود سنة ١٩٨ هـ (أنظر الطبرى ٨/ ٥٢٧ ، وابن خلكان : الوفيات ٢/ ٥٢٠) وطاهر ابن الحسين خزاعى بالولاء وثابت بن نصر خزاعى وأبو عبيد خزاعى ولاء وكلا الاميرين من قواد المأمون فاحتمال لقيا أبو عبيد به احتمال وارد ، لكن ليس كما ذكرت القصة . والله أعلم .

الرحلة الاولى :

رحل أبو عبيد من مدينته هراة شأنه شأن طلاب العلم متجها الى العـــراق ولا نجد أى ذكر لمشايخه فى هاتيك المدينة ، ولعل من أسباب عدم وجود المشاهير فيها ، ان نجم بغداد حاضرة المدن الاسلامية فى ذلك الوقت أخذ بالتألق والسطوع فقصدها العلماء من شتى البلدان الاسلامية .

لكننا نجد ضمن مشايخه — رحمه الله — شيخا هرويا روى عنه أبو عبيـــد قديما ، وهو عبدالله بن واقدبن الحارث الحنفى ، أبو رجاء الخراسانى الهـــروى (توفى بعد سنة ١٦٠ هـ) .

أما دخوله بغداد فكان فى حدود سنة ١٧٦ هـ ، أو قبلها بقليل ، ذلك أنه روى عن قاضيها سعيد بن عبدالرحمن الجمحى المدنى المتوفى بها فى هذه السنة، كما سمع عن الفرج بن فضالة (ت ١٧٧ هـ) .

ثم دخل الكوفة فى حدود سنة ١٧٧ هـ حيث سمع فيها من شريك بن عبدالله النخعى قاضيها (ت ١٧٧ هـ) كما سمع فيها من المبارك بن سعيد الثـــــورى (ت ١٨٠ هـ) وعلى بن هاشم بن البريد (ت ١٨١ هـ) وعبيدالله بن عبيد الرحمن الاشجعى (ت ١٨٢ هـ) والنضر بن اسماعيل (ت ١٨٢ هـ) ويحى بن زكريا بـــن أبى زائدة (ت ١٨٣ هـ) وعلى بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩ هـ) وغيرهم .

وبعد رمضان من سنة ١٧٩ هـ دخل أبو عبيد البصرة ، فقد أخرج الخطيـب بسنده عن أبى عبيد قال : (دخلت البصرة لاسمع من حماد بن زيد ، فقدمـــت فاذا هو قد مات ..) [1] وحماد بن زيد توفى فى رمضان من سنة ١٧٩ هـ . [2]

فسمع بها من عباد بن عباد بن حبيب (ت ١٨٠ هـ) ومن يوسف بن عطيـة ابن ثابت الصفار (ت ١٨٧ هـ) ومن محمد بن جعفر — غندر — (ت ١٩٣ هـ) وابن أبى عدى (ت ١٩٤ هـ) وعبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفى (ت ١٩٤ هـ) ويحى بن سعيد القطان (ت ١٩٨ هـ) وعبدالرحمن بن مهدى (ت ١٩٨هـ) وغيرهم .

---

(١) أنظر : الخطيب : بغداد (١٢/٤٠٨) .
(٢) له ترجمة فى (ح ٨٠٩ / ص ١٠٤٦) .